موقف

التقويم في مدارسنا .... إلى أين؟

ما زلنا ونحن في مطلع القرن الحادي والعشرين نلقن أبناءنا العلم تلقيناً، ما زلنا نسهم في إنشاء متعلم أسير فكر واحد، وطريقة واحدة تجعله حافظاً لمذكرات الأستاذ التي انتهى تاريخ صلاحيتها منذ أمد بعيد بالرغم من التوجهات والتوصيات الحديثة التي تركز على عدم الاهتمام بحفظ الحقائق بل الاهتمام بتنمية التفكير والقدرة على إصدار الأحكام، وممارسة النقد، وعرض الأفكار بحرية ويسر.

إن مشكلة التقويم تعد من أكبر التحديات التي تواجه نماذج التعليم المختلفة، حيث أن الاختبارات الموضوعية واختبارات الورقة والقلم أصبحت غير مجدية، ولا تتناسب مع الصيغ الجديدة، وهنا يجب أن نسأل أنفسنا ما الذي نريد أن نقيمه في طلابنا؟ هل نريد تقييم حل المشكلات أو طرح المشكلات في الرياضيات مثلاً؟ هل نريد تقييم الأبحاث التجريبية في العلوم؟ هل نريد التحدث والاستماع وتسهيل النقاشات؟ هل نريد عملا تاريخيا موثقا أم مراجعة نقدية لنص أدبي حتى تصبح صالحة للقراءة؟ هل نريد فحص مدى تمكن الطالب واستظهاره لمحتوى دراسي (من الجلدة إلى الجلدة) استنادا إلى تعبير شائع؟. إن القضية ليس قضية إما.... أو، إذ لا بد من إحداث التوازن المطلوب.

على المعلمين أن يحاولوا تقييم طلابهم بطريقة تقدم نظرة دقيقة لجوانب القوة والضعف عند المتعلم، فالطلاب الذين يمتلكون ذكاء موسيقيا مثلاً قد يحرمون من الالتحاق ببرامج خاصة إذا ما تم تقييمهم على أساس تقليدي يفحص الذكاء الرياضي واللغوي. إن النظريات الحديثة في التربية التي تبحث في موضوع الذكاء (نظرية جاردنر للذكاء المتعدد) تنظر إلى الذكاء على أنه متعدد، ولا يقتصر على جانب واحد (Brualdi, 2000).

من ناحية أخرى، فإن الطلاب لا يتعلمون بالطريقة نفسها، وبالتالي يجب ألا يقيموا بطريقة واحدة، ومن المفيد هنا أن ينشئ المعلم لكل طالب سجل يقيمه فيه بالطريقة التي يعتقد أنها مناسبة له، إن هذا التقييم المفرد يساعد المعلم على اتخاذ قرارات مدروسة حول ماذا سنتعلم وكيف سيتم تقديم المعلومة.

ما هو التقويم الأصيل:

يستعمل التربويون مصطلح «أصيل» لتعريف مساهمة الطالب عبر الممارسة الواقعية للتعلم، والتقويم الأصيل هو التقويم الذي يميز مدى اكتساب الطلاب للمعرفة ومهارات التفكير الناقد عبر مهمات توكل إليهم، وتمثل إلى درجة كبيرة المهمات التي نرغب في أن يؤديها الطلاب في المستقبل، إن الاختبار الأصيل لا يكشف فقط عن انجازات المتعلم، وما اكتسبه بل يكشف أيضاً للمتعلم التحديات الحقيقية والمستوى المطلوب في الميدان.

بماذا يختلف التقويم الأصيل عن التقويم التقليدي؟

يتطلب التقويم الأصيل من الطلاب أن يكونوا مؤديين فعالين في المعرفة المكتسبة، بينما الامتحانات التقليدية فتستعمل للكشف عما إذا استطاع الطالب استظهار أو استدعاء ما تعلمه في سياق معين، نضيف إلى ذلك أنه في التقويم الأصيل يعطى الطالب فرصة أن يتوصل إلى إجابات أو أداء أو ناتج أكثر إبداعاً من التقويم التقليدي الذي يطلب من الطالب أن يختار الإجابة الصحيحة أو يكتبها، أو حتى الأسئلة ذات النهايات المفتوحة.

ورشة تدريب معلمين في الرياضيات في غزة

هذا ويختلف التقويم الأصيل في مستوى الصدق والثبات عن الاختبارات التقليدية، وذلك عن طريق وضع المعايير المناسبة للعلامات بينما في التقويم التقليدي توضع المعايير من خلال الإجابات الصحيحة. كما يتطلب التقويم الأصيل تحديد مهمات من النوع الصعب «ill-structured» التي من شأنها أن تدرب الطالب على الأمور الصعبة والمعقدة، في حين يعتمد التقويم التقليدي على الممارسة «drill» وتقييم عناصر منفصلة لا تشكل واقعا متكاملا، كما يعتبر التقويم الأصيل أداة لتحسين التعليم، وليس فقط للقياس كما هو الحال في التقويم التقليدي، إن الامتحانات التقليدية (الاختيار من متعدد، إجابات قصيرة أو مقالية) تتطلب من الطالب أن يعرض معرفته بطريقة محددة، أما التقويم الأصيل فيسمح للطلاب أن يشرحوا المادة بأساليب مختلفة مستعملين أنواعا مختلفة من الذكاء.

ماذا نقصد بالحقيبة التقويمية؟

تعتبر الحقائب التقويمية (Portfolios) واحدة من الطرق المستعملة للتقويم الأصيل، ومن الأساليب الأخرى المناقشة، الحوار، المقابلة، عينات العمل، القواعد المحددة للنجاح في المهمة Rubrics، والسجلات Journals. ونقصد بالحقيبة التقويمية أنها مجموعة من أعمال الطالب التي يمكن استعمالها لتقييم مهاراته

وإنجازاته، ومن الجدير بالذكر أنه ليس بالضرورة أن تحتوي على كل ما يعمله الطالب، إن الحقيبة التقويمية هي أكثر من مجموعة من المشاريع والأوراق المجمعة في ملف، إذ أنها تحتوي جوانب أخرى مثل تقييم المعلم، وتأملات الطالب الذاتية، ويجب على المجموعة أن تتضمن مشاركة الطالب في اختيار المحتوى، ومعايير الاختيار، ومعايير الحكم على العمل، ودليلا على تأمل الفرد الذاتي. إن الحقيبة التقويمية هي وسيلة لغاية، وليست الغاية نفسها.

لماذا نستعمل الحقيبة التقويمية؟

إن هناك غايات عديدة لاستعمال الحقيبة التقويمية، ويمكن سرد العديد منها:

- توفر الحقيبة التقويمية توثيقا يمكن أن يستعمل لتقييم الطالب، وفي اجتماعات الأهالي.
- تساعد على التخطيط، حيث تشكل مصدر معلومات حول الصف التالي، ويمكن من خلالها أن يكوّن المعلم فكرة مسبقة عن طلابه، ويخطط تبعاً لذلك.
- تمنح الحقيبة التقويمية شرعية الانتقال من مستوى إلى آخر.
- تشجع الطالب على التأمل الذاتي، والتفكير الناقد، والتحكم بعملية التعلم عند الطالب.
- تساعد على اختيار طلاب لبرامج خاصة.
- ترفع ثقة الطالب بنفسه.
- تشجع الطالب على التأمل الذاتي، والتفكير الناقد، والمسئولية للتعلم، والمهارات المتعلقة بمحتوى ومعرفة معينة.
- تكشف الحقيبة التقويمية عن الكيفية التي يفكر بها الطالب، وماهية أسئلته وتحليلاته، وتجميعاته وإجراءاته، وإبداعاته، وتفاعلاته.
- إن المهارات والقدرات التي ترصد بواسطة الحقيبة التقويمية تقدم صورة أكثر تكاملاً عن نمو المتعلم فكرياً ومهارةً وأخلاقياً، ويستطيع المعلم قياس أداء المتعلم في المجال الذي لا تستطيع الاختبارات التقليدية قياسه.
- تساعد على اتخاذ القرارات المهمة بشأن طرق التعليم والتعرف على قدرات المتعلم.
- تضع المتعلم في محور العملية التعليمية، وتحمله مسؤولية تعلمه، وتقويمه لذلك التعلم.
- استخدام الحقيبة التعليمية يمنح التقويم صفة الاستمرارية والشمول، ذلك لأنه يعطي صورة متكاملة لنمو الطالب في مجال محدد، وكأنه فيلم مصور.
- يبتعد عن المواقف الاصطناعية، ويبدو وكأنه في مواقف حقيقية تصور أداء المتعلم.
- تشكل الحقيبة بحد ذاتها جزءا لا يتجزأ من عملية التعليم في حين تبدو الاختبارات التقليدية، وكأنها مناسبات خاصة، وبعيدة عن المنهاج، حيث يكون الهدف منها رصد العلامات فقط.
- تركز على العمليات، وليس فقط على الناتج، وتحول دون الشعور بالظلم وخيبة الأمل.
- تركز على نمو جميع المتعلمين، وتنمي قدراتهم الفردية، وليس فقط للتقييم، وتقسيم المتعلمين إلى ناجحين وفاشلين.
- يصبح الطالب مسؤولاً عن تكوين معرفته بدلاً من كونه متلقيا سلبيا للمعلومات.
- وجود معيار واضح وكامل للأداء، وذلك ليس فقط من أجل العلامات وإنما كي يحصل الطالب على صورة أوضح للأهداف المطلوبة.
- توثق الحقيبة التقويمية تطور الطالب مع الوقت، وليس على أساس مقارنة الطلاب ببعضهم .

لقد تنبه بعض المعلمين إلى قضية التقويم، وبدأوا بممارسة أشكالٍ متنوعة من التقويم الأصيل ، ولكن تبقى سياسة التعليم من جهة، والمعتقدات الراسخة عند بعض المعلمين من جهة أخرى حاجزاً أمام إحداث التغيير المطلوب في هذا الجانب، ومن المفيد هنا أن يبقى ماثلاً في أذهاننا السؤال التالي: هل ما نريده حقاً هو أن نعلم أبناءنا كيف يستظهروا؟!.

ليانا جابر
معلمة رياضيات، وباحثة في مركز قطان للبحث والتطوير التربوي.

المراجع:

- Brualdi, A. Multiple Intelligences: Gardner’s Theory. www.ed.gov/databases/ERIC_Digests/ed351150.html. 15/04/21.
- Doolittle, P., Teacher Portfolio Assessment. www.ed.gov/databases/ERIC_Digests/ed385608.html.15/04/21.
- Grance, C. The Portfolio and Its Use: Developmentally Appropriate Assessment of Young Children. www.ed.gov/databases/ERIC_Digests/ed351150.html. 15/04/21. Judith, A., et al. Portfolios for Assessment and Instruction. www.ed.gov/databases/ERIC_Digests/ed351150.html. 15/04/21.
- Wiggins, G. (2000). The Case for Authentic Assessment. www.edu.gov/databases/ERIC_Digests/ed328611.html. 15/04/21.

الزيرة، د.زهراء (1995). دعوة لتحدي الثوابت التربوية في كليات إعداد المعلمين: ورقة عمل مقدمة للمؤتمر التربوي العربي «تربية المعلم في القرن الحادي والعشرين».